صداقة النساء

كتاب اخلاقي اجتماعي عربناه عن الانكليزية لننشره تباعاً في الحسنا

تمهيد

قيل ان المرأة لم تخلق الا لتكون زوجة وأماً فالرجل اذا لم يخلق الا ليكون زوجاً وأباً، هي لتزيد سرور وقيمة الرجل وهو ليزيد سرور وقيمة المرأة وكلاهما لتهذيب وتربية الاولاد. وبقية الواجبات التي هي اصلاح وترقية النفس او الذات واصلاح وترقية الهيئة البشرية موضوعة عليهما بالسوية. والقول العام ان المرأة لم تكن الا لتعين الرجل لا ينبغي ان يقصد به ان المرأة شرعاً وادباً عبدة او خادمة له بل ان كلاً منهما خادم للآخر لان واجبات المرأة الرئيسية كواجبات كل فرد في العالم هي ان تنمو نحو الكمال الادبي الالهي وتصير ولداً حقيقياً لله وتسعى وراء الغاية التي لاجل اتمامها وُجدت في هذا الكون فهي من هذا القبيل ايضاً لا تقل قيمة واعتباراً عن الرجل

الحب والزواج والولادة ليست كل واجبات المرأة لان كثيرات لا يحببن ومنهن ولو احببن لا يتزوجن ومنهن ولو احببن وتزوجن لا يلدن ومنهن لا يحببن ولا يتزوجن وطبعاً لا يحصل لهن الواجب الثالث اي الولادة. اذاً يقال ان المرأة من هذا القبيل لم تتم وظيفتها ولكن الوظيفة الرئيسية ليست هذه الامور الثلاثة اي الحب والزواج والولادة بل هي اسمى من ذلك، الا فهي ترقية نفسها نحو الكمال الالهي وهذا لا يؤخره عدم اتمام اي كان من الامور الثلاثة المذكورة سابقاً

في الممالك المتمدنة عموماً وفي عواصمها خصوصاً كثيرات من النساء يفقدن

لذة وسعادة الحب والزواج فانه لم يقم قبلاً نساء متذمرات قلقات يتأففن من حياتهن ويتضجرن من ظروفهن كنساء الزمن الحاضر فلقد اصبحت نساؤنا بفضل التهذيب والتثقيف لا يرتضين بالمطاليب التي رضيت بها نساء الزمن السالف فالتهذيب اذاً من اكبر العوامل على فتح عيونهن وتمكينهن من رؤية مطاليب جديدة لم تخطر في بال غيرهن في الاعصر الماضية مطاليب لا يمكن تحصيلها الا بعد مئات من السنين - معظم نسائنا يتطلبن مبدأ وهمياً يستحيل الوصول اليه فيعجزن طبعاً عن بلوغه وهذا العجز يزيدهن عزلة ويعملن على فصلهن عن العالم فوق ما وضعته عليهن طبيعتهن او باحرى وظيفتهن التي هي حفظ البيت وترتيبه الى ما هنالك من الاعمال الداعية للعزلة والانفراد وفي تلك العزلة وفي ذلك الانفراد الحاصل عن العجز المذكور وعما تتطلبه منهن وظيفتهن البيتية يحدث حادث اليم الا وهو كسر قلوبهن وكدرهن

سيقل عدد الذين يتمتعون بالحب الطاهر الذي يعقبه الزواج الشرعي ويزداد الذين يعشقون ولا يتزوجون الزواج الشرعي ولسوف تبلغ درجة عالية من التمدن حينما يستنبط الناس قوانين وتنظيمات جديدة نافعة من الوجهة الاقتصادية وحقيقية ايضاً واما في الوقت الحاضر فكل ما من شأنه ان يزيد في عاطفة الحب الطاهر اشتعالاً ويهيج العقل للافتكار به سيزيد ايضاً عدد الذين يرفضون الزواج الشرعي ويزيد في تعاسة من يفقد الحب الطاهر الشريف

افضل علاج لتسكين العواطف الثائرة وتقليل عملها هو اتمام عواطف جديدة من شأنها تخفيف عمل الاولى فتقل وطأة اليأس بتوجيه العقل الى ما هو مسر ومدعاة الى الانشراح فالصداقة في حياة النساء موضوع جدير بالبحث عنه ويستحق الالتفات اليه لان الصداقة اول درجات الحب ودليل امين اليه وهي للحب بمنزلة الجذور والاغصان لجسم النبات وهي في احوال معلومة غاية الحب وفي احوال اخرى سلوة الحب المخزي

أصحيح ان ليس للنساء الا القليل من الصداقة ؟

يظن البعض ان النساء لسن اهلاً للصداقة فيزعمون ان قلوبهن بعيدة عن البساطة سريعة التقلب مملوءة غدراً وخيانة . ولقد امسى هذا الزعم شائعاً بينهن وعند منتقدين ايضاً . غير ان اصحاب هذا الزعم قد اخطأوا باعتقادهم ان كل النساء نوع واحد متساويات في الاخلاق والصفات فكان الحكم عاماً عليهن بيد ان اخلاقهن وصفاتهن مراتب ودرجات كاخلاق الرجال

انهمهن كثير من العقلاء بان ليس لهن مبدأ ثابت يضعنه نجاه عقولهن ليسعين وراءه في هذه الحياة . قال هاين — لا اقول ان ليس لهن مبدأ على الاطلاق بل لهن كل يوم مبدأ جديد يختلف عن الاول » فقال له بوب — لم تصدق يا هذا في كل حياتك مثلما صدقت لما قلت ان ليس للنساء مبدأ ثابت) وكلاهما ينسبان التقلب وعدم الثبات لجنس الاناث

وكثيرون غيرهم اعتقدوا بصحة هذا الزعم وقالوا كما ان خلو الماء من ادنى طعم برهان على نقاوته من الاقذار ، كما ان كون الزجاج شفافاً دليل على طهارته هكذا خلو المرأة من مبدإ ثابت او ناموس محدود برهان على كمالها واتقام وظيفتها وقالوا ايضاً ان الكمال الادبي يتطلب عدم محبة الذات والخلو من العجب والمباهاة بالنفس وصاحب المبدإ الثابت المتأصل في نفسه حب التقدم والجري وراء تحصيل مبداء يحب نفسه ويرتاح للاعجاب بها فنتج اذاً ان كمال النفس الذي هو وظيفة المرأة الرئيسية يتطلب عدم اتخاذ مبدإ ثابت وقصد دائم بل طاعة وانقياد وتسليم وتكييف النفس بحسب اختلاف الظروف والاحوال ورايهم هذا غير مقبول لان بعضه غير صحيح وبعضه غير مناسب وينتج عن طبيعة الرجل

الاستبدادية لان الرجل لا يريد ان يعكس غيره بل ان غيره يعكسه اي ان الرجل لا يودّ ان يطيع غيره و يصدع بما يأمره به غيره بل ان تكون اوامره معمولاً بها ومطاعة فالرجل اذاً يسعى في التسلط على المراة بواسطة سلبها ارا تها او ذاتيتها ومتى فقد المرء ذاتيته او شخصيته اصبح عبداً يعكس اخلاق من اقترب منه كالمرآة غير انه بما ان المرأة كائن حرٌ مسؤول عما يفعله اصبح عليها واجبات يلزم اتمامها كما على الرجل وتنج من الضرورة ان تعطى حرية كما للرجل

لكي تظهر المراة كاملة في عين الله ينبغي ان تتحلى بالصفات الطاهرة والمبادئ السامية الثابتة ولكي تظهر كاملة في عين الانسان المحب الذات، يجب ان تتحلى بصفات الطاعة والتسليم والانقياد والليونة واللطافة وفقد الارادة والحرية والتقلب. فكمالها في عين الله يختلف عن كمالها لا بل يناقضه في عين الرجل

وكما ذكرنا سابقاً ان النساء تختلف صفاتهن وعواطفهن ويظهر لنا ذلك الاختلاف اذا دققنا النظر في البحث عن الفرق بين رقة طبع مريم الضارعة على العود و بين شجاعة وقساوة طبع كليوباترا الراضعة الصل المميت على احد ثدييها، بين كورنيليا المعجبة بولديها اللذين حسبتهما جوهرتين ثمينتين وبين كيون الطامح وجهها سروراً والمواجدة ليلاً ونهاراً عابدة الله، بين لوكرازيا بورجيا الشاهرة الخنجر والكاس و بين فلورنس نيتنكايل التي اطلقت ذكرى حرب القرم باعمالها الخيرية المشهورة

يجب على النساء ان يتحالفن لحفظ شرفهن لان التحالف المتين العرى ضروري لهن

شوبنهور